
العلم
أمانة
والقيم
منهج
DREAM
LEARN
BE FREE
خطيئتي
تمشي
على الأرض
عبد الباقي المغربي

انفتحت أبواب الجامعة على مشادة بين صاحب السيارة الفارهة وآخر فقد أوشك أن يصدمه بها وشاتمه بأقبح أوصاف البشر ورد الآخر بغضبة قاتلة لولا أن أمسكه الأقران وجذبوه فتخطت قدماه الممشى عابرا إلى مدرج المحاضرات بكلية الهندسة فصدمته إحداهم بحقيبتها عند صعودها درجات السلم وكانت مازالت به فورة الغضب من الصدمة السابقة فانتصب لمعركة جديدة ،ولكن عادت أنفاسه الحارقة فى صدره وتهاوت قبضاته بإيماءة اعتذار من أنامل تفوح عطرا كثمر النبق

- آسفة sorry

فاحترقت ذاته خجلا من غضبته تجاهها والتقوا فى درس التصاميم واعتزل بركنه عن الفهم وفقد العقل يقظته فإنها بحسن طلتها أبدلت ناره بردا وأسكنت لهيب غضبه بإشراقة فى العين ولسعة فى القلب ،وأكمل المحاضرة وكأنه ما حضرها ،وغادر القاعة بغير فهم وإن استحان فرصة خروجها فاعتذر عن سوء أدبه

- أنا متأسف أنى كنت قليل الذوق .

ولكنها بادلته باعتذار لكأنها هى الملامة :

- لأ دا أنا اللى متأسفة .

فنفى عنها ذلك وإن كانت فى حقيقة الأمر قد تعمدت هى ذلك فهو الأول على الدفعة من عامها السابق والشارح لكل ما صعب فهمه على الآخرين وكانت كثيرا ما تتحين الفرص للتعرف به ،لعلها أن تفوز بصحبته ولا تحرم من دروس شرحه والتى يتجمع فيها مع زملاءه مستعيدا دروس المحاضرة بطريقة أبسط وأفهم من استاذ المادة وهى التى صعدت للسنة الحالية بمادتين بعد تفاهمات لدى هيئة التدريس من بعض أقاربها ،وكانت ذات جمال فائق وثراء تحسدها عليهما جميع فتيات الجامعة .ومنذ هذه الصدمة كثيرا ما جال شاخصا لعله يجدها يوما ولكنه ما بصرها ثانية لعدة أيام .

وانتصف العام وسبقت شهرته فى الشرح والتحليل الأساتذة وتقاطر حوله الزملاء لعلهم يخرجوا ببعض ما كتب أو يستقوا جزء مما فهم ويعطى لكل بقدر فهمه ولا يمنع نفسه عن أحد حتى أرسل اليه يوما عرضا سخيا مقابل شروحا مخصوصة فرفض منبها لمن أراد منه علما فليأته مع الآخرين وعاودته المرسلة بطلب دروسا لهن فى أيما مكان يحدده فرفع حاجبيه اليهن وأدرك المرسلة وكانت بعيدة عنهم تقف مع أحدهم ،فهى لم تتعود أن يرفض رغبتها أحد فرد .

- للأسف ليس لدى وقت ، بينما ألمح لعبير وهى التى أتته بالعرض أنها يمكنها أن تحضر مع مجموعة زينب وهى زميلة أخرى تسكن معه فى نفس الحى ومجموعتها تضم طالبات فقط،وبعد الانتهاء هم بالخروج فاستبقته معترضة جانب الطريق وثمر وجهها الباسم على عودها الباشق خدره عن الحركة طالبة منه بنفسها أن يساعدهم فى بعض الدروس:
- ممكن تتكرم وتسعادنا فى شرح بعض المحاضرات وكاد يلبى من فوره طلبها لولا أن قاطعهما صاحب السيارة حاملا لها مذكراتها التى استطاع بقدرته الحصول عليها قبل الاخرين ،وأخبرها بأنهم ليس بحاجة لشروح أحد فبإستطاعتهم إقناع جميع الاساتذة بدروس منزلية وكأن زيتا مغليا أريق عليها فتركهما بلا رد ورمقها بنظرة وانصرف ،فاغتاظت من ذاك الذى قطع الطريق عليهما وكان كريح السموم وانطلقت خلفه طالبة سماع الرد ووقف وأدار نفسه وهم بالإجابة فعاود الآخر كلامه فأشار اليها بأن قول هذا هو الرد، وتركهما وانصرف وانهدت كمدا فخاطبها مستفسرا بأن تاخذ كتب الاساتذة التى استلبها منهم
- اتفضلى مذكراتك أنت أول واحدة تستلمهم فى الكلية ولا تدرى كيف تحصلت عليهم ،واحتقرته بعينيها واحمرت

وجنتيها غضبا وجزت على أسنانها وأمرته بأن يأتى بها إليها وذهبت ،وأردفها متأملا أن يلتقيا فى المنزل أو النادى بأحد الأساتذة لشرح مادته لهما فأومأت اليه متشحة بيدها أن فيما بعد

وكان بدر قد وقف مستشعرا جلافته معها واستدار ليصحح موقفه ولكن قد انقضى الوقت ،ورآها ترمى نفسها داخل سيارتها وتديرها بسرعة كاد معها صوت العجلات يصعق المحيطين وحاول ابن خالتها صاحب السيارة الفارهة اللحاق بها بلا طائل وسرعان ما غرق" بدر" وسط الآخرين الذين أخذوه جانبا ليحدد لهم توقيتات المراجعات فقسمهم بعضا بالكافتيريا المقابلة للجامعة وآخرون بإحدى الحجرات التابعة لقهوة بحى السيدة المنطقة التى يسكن بها ومجموعة ثالثة يلتقيهم بحديقة قرب معهد التعاون ثم انصرفوا وركبوا قطار المترو، وكثرة من الطالبات تحيطنه حتى انتهى القطار برمسيس وأنزلق منهم إلى رصيف المحطة واعدا باستكمال المتبقى كما حدد ،وألاح لهم بيده مودعا .

وأظهرت نتيجة الدور الأول للسنة الرابعة تفوقه ونجاح من استمع اليه فى شرحه بعكس الآخرين وصاروا جماعتين ،اساتذة المواد في إحدى قاعات النادى العريق بعدما جيئت إليهم بالعضوية والثانية فى السيدة حيث يلتقون بعد صلاة الجمعة ،فزينب تستضيف مجموعة عند الحاج عطية بمخزن البيت والذى جعل نصفه الآخرالمطل على الشارع الأمامى قهوة وتأتيهم من عند دكان أمها نفيسة بائعة الخضروات ببعض الفاكهة أو ترسلها الأم إليهم وهم متجمعون من بعد العصر حتى المغرب غيرالذى ترسله إلى الجمع الأول بالسطوح الذى يسكن به بدر وهم مجموعة الشباب من نفس المنطقة وتأتيهم ببعض الخضرة فيتناولون الفول والفلافل بعدما تنتهى صلاة الجمعة وتدعوا للكل ،وتلتقيه ثانية بدعوات مماثلة عند مغادرتهم قبيل المغرب بعد فراغه من درس مجموعة الفتيات وهى تلملم فرش خضرتها وتسبقها ابنتها للبيت بعدما تعرج الأم لأخيها حاملة بعضا من خضراوتها لأهله ،وسرعان ما تداعبهم زينب من شرفة منزلها

- على الله يكون بفايدة

ويداعبونها برد مماثل وتستلقى فرحا بعد نظرات باسمة تنبث بينهما فور عودته أمام منزلها بعد مغادرة الجميع وما فتئت أمها تلحظها وهى غارقة فى صبو نشوتها ،وبرز فى نهاية العام بدر وسعدت وسط الجمع زينب بتفوقها مع من تتمناه،وما استراعت الاخرى برسوبها فى مادتين كعادتها عندما جاءها الخبر وهى بالنادى وبعد تخطيها تلكم السنة بدأت تشعر برغبة فى معرفة حياة الآخرين التى تجعلهم يتفوقون رغم الفوارق التى بينهم فقررت لأول مرة زيارة مقام السيدة زينب ومن بعدها ذهبت إليهم ولأول مرة تدخل الحديقة مع عبير وتلحظهم فى جانبها مجتمعين حوله وجذبتها عبير بلمزة إشارة إليهم أنهما سيأخذون جولة بالحديقة وكم أعجبتها المناظر أكثر من ناديها

وعاودتها قدماها حيث يجلسون فوقفتا بالمحاذاة بعيد عنهم محاولة ألا تعطيهم انطباعا بأنها تلحظهم وتبادلت عبير التحية بزميلات لها ثم تقدمت إحداهن لترحب بهما وتدعوهما للجلوس معهم

- تعالوا تعالوا اتفضلوا اجلسوا معنا

وتنفست الصعداء أن عرض أحدا عليها المشاركة وكانت تخشى ألّا يعيرها أحدا اهتماما ،وساءلت التى جاءت وهى تتقدم معها عن عدم رؤيتها بالنادى منذ نهاية العام المنقضى؟ وألمحت إليهما أن تخبرهما لاحقا ،وكانت "اسمهان" صديقتهما من أسرة مرتفعة الحال أتاح لها مزاملتهما بالنادى والبقاء مع الآخرين فى جمعهم،وتمنعت خائفة من تكرار ما حدث العام الفائت عند رفضهم مشاركتها الجلوس معهم لسوء تفاهم حدث مع بعض الفتيات إحساسا بالمغايرة الإجتماعية عند دخولهن الجامعة فى بعض المرات

- لا معلش المرة دى خليها مرة تانية يمكن حد يتضايق

،ولكنها أخذتهما بقليل محايلة وعرضت طلبا للآخريات بأن يسمحوا لصاحبتيها بالجلوس معهم فما رفض أحد إلا قليلا تمتموا بغير كلام مسموع وما بدا اعتراضا ظاهرا منهم وخاطبتهم صديقتها "عبير":

- بس بعد إذن الباشمهندس بدر فرفع ناظريه إليهما وكأنه ما كان يتابعهما ،وسارعت صديقتهما مسائلة له بألا يمانع جلوس عبير ونور معهم ورفع ناظره وكأنه لأول مرة يسمع اسمها بهذا الترنيم،مجيبا :
- يسعدنى جدا انضمامهما، مأرجحا كفه لهما بالجلوس واستدارت نور حولها لتجد لها شيئا تجلس عليه فافسحوا لها مكانا وكانوا جلوسا على خضرة الارض فتجالست وجاءتها نشوة غريبة بجلوسها أول مرة على بساط الأرض كما الآخرين وابتعد بناظريه عن متابعتها ولكن عانده نظره فلمحها تجلس على قصبتى ساقيها

وصادف نظرتها إليه ،ثم بادأها برفع التكلف بينهم،وسارع باستكمال ما بدأه وكان عن تصميم المبانى فوق الأرض الملحية وبجوار البحر وصار هناك سؤال وجواب وشرحا وإعادة وتكرار ،ثم تسآل أحدهم عن المنهج الصعب والأمثلة المركبة فى الامتحانات مذكرا بعدد الطلبة الراسبين فى بعض تلك المناهج ،فجاوبه :

- لقد تجمعنا منذ العام الثانى لأجل المشاركة لبعضنا كل واحد فيما فهمه أو سجله من محاضرات ورغبتنا فى النجاح والتفوق هى التى تدفعنا لذلك دون الآخرين الذين قد تأتيهم أسئلة الامتحانات مسبقا وأحيانا إجاباتها ثم انحبس الكلام فى حنجرته عندما ذكرتهم بها عندما استأذنت مسلمة عليهم بالرحيل
- طيب سلام بقى ،احنا هنمشى

وتوقف بعدما شعر بثقل قوله عليها وهو لم يكن يقصدها به وسارعت تتبعها عبير ولمحت "اسمهان" ذلك فلحقت بهما وهونت عليها بأنه ما قصد ذلك،وارتاحت نور قليلا وعاودت التحية لهم وهى تغادرواستراح هو عند شعوره بتفهمها وعاود مشاركتهم نقاشهم ثم سرح بخاطره إلى يوم الرحلة للأهرامات عندما كانت تسير بجواره مستفسرة عن سر بناء الهرم وكان يوضح لها بعض ما قرأه عن ذلك ،وكانت تلك أول محادثة ودية بينهم بعد عدة محادثات صادمة سابقة داخل الكلية بسبب قربها،وفجأة سمع من يوقظه ويهزه ويذكره الحاضرون بجلوسهم معه

- إيه يا باشمهندس وصلت لفين ،وحاول تدارك الموقف بأنه كان يفكر فى خاطرة أتته بإنشاء شركة مقاولات كبرى أو مكتبا هندسيا يضمهم جميعا ،ورجى الجميع منه ذلك واستحسنوا الفكرة .

وهناك فى الجامعة التقاها "معتز" مستفسرا عن تغيبها وأنه مازال يبحث عنها حتى وجدها وسألته عما يحتاج وكأنها ملته وملت الحديث معه ،فذكّرها بحملة الدعاية لاتحاد الطلاب الذى ترشح رئيسا له ،ومر من جوارهم "سعيد" سائلا عن "بدر" والآخرين
-ألم تروا بدر وصحبته ،فرد مغتاظا
-ولماذا تبحث عنه هنا؟وبادرته :
- بأنهم إما بالكافتيريا أو المكتبة ،واستقبح وجهه مستغربا من ردها عن مكانهم
- وأنت إيه اللى عرفك ؟ فأجابت عبير التى أتتهم بأن الكل يعرف بأنهم يتجمعون هناك يوميا وجاءهم سعيد مذكرا لهم بحملة الدعاية الانتخابية لبدر وهو رئيس الاتحاد فى العام السابق وعودة "معتز"لمنافسته مرة أخرى وهنا تذكر بدر تلك التدعيمات التى قدمت له خاصة بعدما أخبرته بعض الزميلات بفضل نور فى تحقيق نجاحه وأثنى على صديقه "نورالدين" وصعقه الخبر بأن من يقصدون هى " نور" وليس نورالدين جاره وصديقه وتذكر بعض المواقف منها ،وهنا أتته عبير تطلبه للكشف عن سيارة نور حيث أنها متعطلة وهو لديه خبرة من العمل بورشة السيارات منذ صغره،
- خليك هنا يا سعيد وكمل أنت وأنا ذاهب أرى ما يحتاجون وأنه سوف يستطلع أمر السيارة ،وسرعان ما أدرك أن ما بها شىء مما قالته واستوعب المخفى من الأمر،فتظاهر بالبحث عن المشكلة ومن ثم كأنه حلها، فاقتربا منه وطلبت عبير أن يسمح لهما بحضور بعض دروسه مع الآخريات فوافق ،وألمحت هى له كيف يوفق بين أنه يعطى شروحا للطلاب بدون مقابل ويعمل فى ورشة ويمكنه أن يدر دخلا من ذلك.
-الحمدلله دى منحة من الله فمنذ أتيت من الصعيد طفلا وأنا عندى اثنتى عشر عاما مع زوج أختى ابن عمى وأقمنا بمنطقة السيدة

بعدما توفى أبى وتزوجت أخواتى قررت أمى أن اعتمد على نفسى وأنا كنت كذلك أفضل أن أتحمل مسئولية نفسى أما شرحى للدروس مجانا فهى شكرالله على نعمة الفهم التى حبانى بها ،وتظاهرت نور بحاجتها للمغادرة بعدما لاحظت أن الآخرين يراقبونهم من بعيد فبادرها مستفسرا عن حالها فى المذاكرة وعرض المساعدة إن احتاجت ،وتبسما ومدت يدها إليه شاكرة له وأمسكها وشعرا لأول مرة بتيار يسرى بينهما وأفاقا على صوت "المزعج " ابن خالتها الذى ظل يبحث عنها طويلا بعدما تركتاه ،فبهت عندما وجدهما يقفان معا فعمد على إهانته قائلا :
-شكرا يا أسطى المهم متكونش بوظت حاجة علشان دى عربيات هاى تك غير اللى اتعودت عليه فى ورشة الميكانيكا ولها توكيل خاص يكشف عليها بتكنولوجيا رقمية ،وهنا تدخلت نور وأنهت اللقاء قبل أن يتطور لنزاع جديد بينهما واستسمحت بدرا ودلفت للسيارة جاذبة عبير ،وسارع الآخرإلى سيارته ليلحقها بعدما تجمع أصحاب بدر من حوله خشية تكرار السوابق بينهما ،وأظهرت نتيجة انتخابات اتحاد الطلاب تفوق بدرا ولكن أعلن فوز معتز بها ثم لحقها بانتخابه رئيسا لاتحاد الجامعة .وحزن الجميع لذلك إذ أنهم جميعا واثقون من فوز بدر ولكن الإدارة الجامعية صممت على عدم انجاحه لما سببه لها من إحراج العامين السابقين مع الحكومة وبعض السياسين عندما أقام بعض الندوات التى حضرها رموز من المعارضة وهوجمت فيها الحكومة والنظام .
وذهبت يوما آخر بصحبة صديقتها إليه بورشته معتذرة عن الأحداث التى رافقت الانتخابات ومنها اتهامه من قبل إدارة الجامعة بسبب شكوى والدها بمحاولة التحرش بها ،وكان والدها قد أوعز بهذه الشكوى لعميد الكلية بناء على وشاية من ابن خالتها ،فشكرها وأبدى تفهمه للأمر وأنه ارتاح من الاتحاد حيث إنها السنة الأخيرة ويجب عليه أن يكملها بتفوق كالسابقات ،واستسمح بدر عليا العامل المساعد له بالورشة

-على ممكن تأتى بمقعدين وكوبي عصير تفاح للآنستين، ولحظات جاء على بالمطلوب وجلستا، وكانتا قد أتتا بسيارة والدة عبير لإصلاحها عنده فكلف مساعده بالعمل وكان عطلا بسيطا فى يد الفرامل ،وقبل أن تمتد يدهما للعصير بادرت نور بالوقوف ومحادثته وهو يساعد فى الكشف على السيارة لإيضاح موقفها بعدما وصلها حديث الآخرين عما حدث فى الانتخابات الحالية وأعلمها أنه يعرف كل ما حدث وأن معتز حاول استغلالها فى ذلك وهمتا بالإنصراف بعدما انتهت حجتمها بتعطل السيارة ،فأتى صاحب الورشة ريثما وصلته روائح العطر الفواح داخل حجرة استراحته فأفاقته من غفوته ، ولفت انتباهه

- إيه يا بشمهندس زميليتيك لما تشربا بعد عصيرهما واجب عليك تعزم عليهما بشدة ،وكانتا قد أخذتا رشفة أو اثنتين منهما فسارعت عبير بإلتقاط الكوبين وشربت وأشربت نور كوبها وأصرت إليها أنهم فى منطقة شعبية وأن ترك واجب الضيافة ربما يعتبرونه إهانة وأخذ الكوب وقتا فى يد نور حتى شربته وكان صمتا قد غلف الجوإلا من صوت خفيض من صبى صغير تمنى فيه لو كان بدلا من الكوب بين يديها فغمزه على بألا يسمعوا صوته ،وعاود الأسطى حديثه بعد أن مسح يده من السواد بقماشة جلبها من الحائط مخبرهما

- أن الباشمهندس بدر عبقرى طول عمره ومن يوم ما اشتغل معه لم ترجع سيارة إليهم بسبب نفس العيب إلا بعد سنين من تصليحها وأنه منذ لمحهم قررت نفسه أن أصحابها أكيد تبع الباشمهندس. وحاول الإسترسال مستلذا الوقوف معهما ولكن قاطعته الأصوات الكثيفة من سيارة قادمة فتقدم إليها مستأذنا بأنه سعد بالوقوف معهما ومحادثتهما وكانت آخر كلمة أطلقتها نور قبل أن تغادرا

-أكيد أنت متميز فى كل حاجة! ،وغادرتا ورائحة الورشة امتلاءت بأجمل العطور العالمية فأخذ الصبيين يستنشقانها شفطا شفطا

واشتعلت سريعا فى الكلية إشاعة بنشوء قصة حب بينهما فهما يلتقيان كثيرا بالكافتيريا ،وبرغم أنها لقاءات مع آخرين إلا أن الكل شعر بالشىء الآخر خاصة وأنه يدارسها بعض الدروس لفهم المواد التى رسبت فيها حتى امتحنتها ونجحت فيهما ،ويذكر البعض الآخرين بتغير الحال عما حدث فى أول عام بينهما .

وشعرا هما كذلك بأن شىء غير عادى يحدث بينهما وأصبح حال "زينب" غير الحال وتغيرت النظرات والسلامات ،وتفوق فى العام الاخير وحاز المركز الأول على الدفعة وكذلك هى نجحت فى كل المواد بمفردها لأول مرة منذ أن دخلت الكلية وكم أرسلت اليه من رسائل عبر الهاتف تشكره فيها ،حتى ألتقته يوم استلام الشهادة وأهدته حلاوة النجاح " قبلة " لم تكن سرية بل كانت وسط الجموع ولم يرها أحد ولكنهم شعروا بها جميعا وأصبح ما كان خيالا حقيقة وما استطاعا أن يداريا ،حتى أن معتز قرر الإنتقام بطريقته ،فتدخل بإتصالات وعلاقات أبيه واختير معيدا بخطة مفضوحة وهو ليس من العشر الأوائل ،واكتست بالحزن ملامح بدر وكانت تهون عليه من الأمر بأنه يمكنه الالتحاق بأكبر الشركات والتى بالفعل أرسلت بعضها تطلبه للعمل لديها وأنها على استعداد أن تكلم والدها ليساعده بعدما ازداد نفوذا منذ نجاحه بدخول البرلمان ،وكثيرا ما ردها عن ذلك ،وكان باله يرتاح كثيرا بلقيا زينب فهى لديها طريقة عجيبة دائما بالتهوين عليه ،حتى أنها هى التى اخرجته من كآبته ونفذوا مشروعهم الذى حلموا به وأنشأ بدر وزينب وسعيد وآخرون مكتبا للإنشاءات والإستشارات الهندسية ومقره فى شقة علوية فوق ورشة السيارات التى كان يعمل بها ،وأعطته هى مالا ليس بالقليل وأقنعته بأنه نصيبها فى المشاركة معهم واقتنع بكل يسر وسهولة وضمها لشركتهم ،رغم المعارضة الشديدة التى أبداها سعيد وزينب، وأصبح المكتب فرصة لـ"زينب" لتستعيد حقها المفقود وكثيرا ما ألمحت اليه بعبارات شبه صريحة ومتقاربة

وهو يعطيها ذاك الأمل ومايقطع السبيل أمامها،فكم رأته شريدا وبيده القلم يصنع خطوطا على الورق تدركه الحيرة،وسعيدا يلحظ ذلك وما يستطيع أن يبدل ما به

وكما أصبح "معتز" معيدا ابتعث خارجيا بأمريكا لاستكمال الدراسة واستشعرت "نور" العيد فى ذلك فهو ليس جارها فقط ووالداهما شركاء وإنما ابن خالتها وأصبح لها وقتا كافيا لتلتقى بدرا أثناء دراساتهما العليا بالكلية والتى ألتحقت بها خصيصا كالآخريات للبقاء معه أكبر فترة وفى ذات الوقت عينها والدها كمهندسة استشارية بإحدى شركات صديق له ،وحاولت أن تنضم إليهم فى مكتبهم أو تعطى لهم أعمالا ومناقصات ولكنها تراجعت بعد أن وجدت صدا غير خافيا من زينب ،كما أن أباها لبى طلبها بأن يكون لها شركة خاصة وأهداها مكتبا فى برجه بوسط العاصمة وأثثه بأغلى الأثاث وأكبر المهندسين بجانب منصبها السابق ،وسارعت باستقدام بدر إليه ليضع لمساته فى إنشاءه وتبعها وكأنه مسحور ولم يستطع الرفض وإنما أبدى بعض الإعتراض البسيط سرعان مازال بتأثير إلحاحها ،وفى ذات يوم أخذته معها بسيارتها ثم امسكت بيده ووثبت به حتى وصلا لمقر المكتب وأخذته بجولة داخل حجراته الخمس ذهابا وإيابا ثم استوقفته لتسمع رأيه فى تصميم المكتب

- إيه رأيك فيه، أنا كان نفسى أنت اللى تشرف على تأسيس هذا المكتب ومازالت تدس كفه فى راحتها ثم تركته لحظات وأتت بعصير بأطيب الفواكه من ثلاجة كبيرة منصوبة كجزء من أحد الجدران وكان يقف مشدوها بجوار عمود رخامي مرمرى فى وسط الغرف الملتفة دائريا وأراح عليه ظهره ورفعت إلى فاهه كأسا

- اتفضل

واشربته ثم ارتشفت منه وأعادته له ثم أخذت تروح وتجىء متراقصة وتحادثه عن آمالها وأحلامها وهو يرتشف قليلا ثم كثيرا ويتابعها فى جيئتها وذهابها وأنوار الأبراج حولهما تصنع تلألأ غريبا حتى انتهى من الكأس ووضعه على منضدة صغيرة من الزجاج الأخضر وأخبرها رغبته فى الرحيل

- ألف مبروك بس الوقت حان لكى أغادر
وأمسكت بكفيه بأن الوقت ما زال مبكرا للإنصراف خاصة وأنها أخبرت الجميع بإلتقاءهم فى هذه الشقة احتفالا بها ،واستغرب هذه الحفلة ولكن ما رفض الإنتظار وسكتا سكوتا تاما حيث تلاقت عيناهما تلاقيا كاملا وما أشاح أحدهما ناظريه عن الآخر حتى أحس بكهرباء تسرى فى جسده حركت معها يديه من وسط كفيها حتى استخلصهما ولكنه ما ابتعد فلفت ذراعيها حول رقبته ورفعت كفيها لرأسه ووهبته قبلة وقبلة وما كاد يفيق من القبلة الثانية فتركز بصره على شفاه حمراوين وكأنهما قنينتى خمر وأغمض عينيه وهز رأسه ليستفيق فعاودته اللثمة واللثمة حتى زانها بين يديه والتأمت ذراعيه حول خصرها غادية وآتية مرتفعة وخافضة وشفاهمها تقول لبعضها ما تشاء وتناقلا بين الغرف حتى استقرها على نضد جانبى بالحائط من خشب الميلامين ذو الطبقتين مقام فى غرفة الإدارة فكت عليه رداءها فأمسكها وأجلسها فذابا فى سكرات القبل والأحضان وصار ما أرادت وذاقا طعم بعضهما ثم استفاقا عندما استمعا لطول رنة الجرس فلملما نفسيهما سريعا فإذا بعبير وثلاث آخريات ،وتساءلت إحداهن عن زمن حضورهما
-هو أنتوا أتيتم باكرا ولا إحنا متهيألنا
فأجابتها أنهما وصلا من دقائق قريبة فتظاهرن بالتصديق وألمحت لها عبير بإشارة إلى أزرة مفكوكة على صدرها ،ورددت أخرى هل هى دقايق فقط ، وتضاحكت والآخريات ،واستئذن محرجا :
-بعد إذنكم وضربتها على كتفها بعدم إحراجه
وذهب لدورة المياه يجمع نفسه ويعدل هندامه وجاء آخرون وآخريات وما كاد ينغلق الباب حتى صدته يدا ،فكانت يد سعيد ومعه زينب وزملاءهم من مكتب الإنشاءات واستقبلتهم نور بحرارة استقبال ..خاصة زينب بعد أن أصلحت كامل شأنها مع

قبلات مجاملة ذات طعم مختلف شعرت به "زينب" وإن لم تكن الآخريات قد أخذن بالهن واستقبل هو سعيد والآخرين وسألته
- إنت فين يا عم من الظهيرة حتى العشا لا ترد على الهاتف فحاول الرد مدافعا عن نفسه ولكنها دعتهم للجلوس بحجرة المهندسين وسألتهم عن مكتبهم وما خططهم التى قرروها لبدء عملهم وتمنت أن يتشاركا المشروعات معا.. وكل ذلك وهويحاول الإبتعاد عن ناظرى سعيد وزينب حتى أقبل جدد آخرون وكثر الجمع وغاب كل واحد وسط الجميع إلا أن بعضهن تحركن فى الشقة ودخلن غرفة الإدارة التى كانت مغلقة فاكتشفن كثيرا مما حدث حتى وصلن إلى طاولة الرسم،وكانا قد دارا عليها أثناء قطافهما، ثم تعالت ضحكاتهن مجلجلة جلبت اهتمام زينب ولحظتهم نور وقالوا فى خباثة وصوت خافت بينهن
- لقد أتما علاقتهما عدة مرات منذ أول النهار
وترتفع إشاراتهم وهن تشرن إلى ورق على النضد الهندسى قد اهترأ،وهنا أيقنت زينب ما كان يحدث .فاستحسرت فى نفسها وهنأتها بكلمة مبروك اردفتها
- مبروك على المكتب والشركة
و بنظرة ثاقبة معاتبة لبدر وكأنها سهام حارقة تنغرس ولا تخرج ،فخرجت مسرعة قبل أن تتساقط دموعها ولحق بها سعيد ملقيا عليه بسهام أخرى وما لحظها أحد إلا اللاتى استجلبوا أحداث الساعات الماضية ،وأتم الاخرون الحفلة التى جعلتها النسوة حفلتين لمناسبتين ،ولم تخفى نشوتها بعدما خرج شركاء بدروبقى هو معهم حتى مضى منتصف الليل كانا فيه كعروسين وسط حفل زفافهما .

وعاد"معتز" من بعثته سريعا بلا شىء فالعلم يحتاج للمجتهدين ،وسرعان ما علم بمكتب نور فذهب وهنأها بالشركة والمكتب وما برح يلمح إلى ازدياد جمالها وحدوث تغييرات لا يعرف مصدرها زادها رونقا وحسنا وجمالا فوق جمالها وكثيرا ما اسمعتها صديقاتها ذلك وقليل من كان يعرف السر .
وجاءت الأخبار متسارعة فقد انسحبت زينب من المكتب ،وعلم معتز برفض والد نور بدر عندما تقدم له طالبا يدها ،،ثم تشاغل بخطة لرسالة ماجستير أعلن عنها مجلس الكلية للفائقين فقط بدون سنوات تمهيدية وعاودت الأيام الخوالى فعلها وتقدم معتز بخطة أعدت له عندما ابتعث خارجيا ولكنها رفضت هناك وقبلت هنا وتجدد تنافسهما بين موضوعات الرسالة ومشرفيها ،ثم ذهب لخطبة نور وأبدى أبيها ترحيبا شديدا به ، وحاولت نور الرفض فما أعطاها والدها وقتا كما لم يعطيها فرصة لإبداء رأيها مرارا فى زواج بدر بعدما حدث وظل يحدث إلى وقت قريب،فلما ألمحت لوالدها عما حدث تغافل عن ذلك وأخبرها بأن أمور الحب هذه تحدث كثيرا فى مجتمعات الأثرياء كتجارب عاطفية تبدأ وتنتهى .
- كل واحد أو واحدة ممكن يمر بتجارب عاطفية لكن طبقتنا لما تحب تتزاوج أو تعقد صفقة نسب لها اشتراطات وقيود وفروض أخرى تفرضها مكانتهم الإجتماعية لا يجب عليهم أن يحيدوا هم عنها ، وفى آخر مرة انخفض حاجز الأبوة عندها وردت بقول أغضبه فصفعها لأول مرة فى حياته ومن ثم أنهى موضوع بدر ،وقرر اتمام زواجها من ابن خالتها الذى سارع مع أبيها لاثارة القلاقل حول بدر حتى انسحب من شركتها ووصل الأمر لإحتجازه بقسم الشرطة بتهمة التلاعب فى مناقصات الشركة وسحب رخصة مكتبه وانفصل سعيد بمكتب جديد وانضمت اليه زينب بحصتها فى المكتب السابق وظل أسابيعا سجينا حتى تدخل أصدقاءه وذهبوا لنور وأخبروها بأنها ستكون سببا فى إنهاء

مستقبل بدر وربما موته ،فتوسلت لأبيها ووافقت على زواجها من معتز وما اعترضت على الإسراع بالزواج وإتمام الزفاف ،وأخرج بدر من السجن وألتقاه أصدقاءه وحاولوا أن يعيدوه الى حاله وضمه إلى مكتبهم فطلب وقتا للإستراحة والتفكير
- أنا معاكم بس محتاج فترة ووقت ألملم نفسى وأقررإيه اللى هأعمله فى المرحلة الآتية
واتخذ من شقة بسطوح العمارة المقابلة للمكتب سكنا بعدما أهداها له صاحبها لحاجة فى نفسه وكانت عبارة عن غرفتين متداخلتين بحمام ،أمامهما فسحة بنفس مساحتهما تطل واجهتها على الشارع فحولهما كشقة فاخرة قبيل دخوله السجن وصارت كبانورما ذات برجولات خشبية وجصية مزخرفة بالأرابيسك الملون ، وصار أهل صاحب العمارة دائمى التردد عليه بالزاد والمؤنة ،وما كان يخفى على فهم بدر ذلك وكان دائم مراعاة الأمر وألا ينفرد بإحدى بناتهم الثلاثة خاصة البنت الكبرى "نادية" والتى كانت أمها تحرضها كثيرا لملاغاته وفتح حوارات معه ، وكان ظنه وحدسه أن تعلن خطوبة زينب من سعيد أو آخر حتى فوجىء ذات يوم يجىءه ويجلس معه كثيرا ليرفه عنه ويعيده كما كان ،ويفاجأه بسؤال
-إيه رأيك فى نادية بنت صاحب العمارة
ويجيبه بعد لحظات استغراب عن حسنها وأدبها ، فيسرإليه بعزمه
- أصل أنا ناوى التقدم لأبيها ويا ليت تفتح معه حوارا عن ذلك ويعتذر خوفا أن يفهم الموقف بالخطأ ويختلط عليهم الأمر فأستصوب صديقه رأيه وقرر أن يذهب اليه بنفسه فى محل جزارته ويطلبها منه وقبيل مغادرته ينبه باله إلى "زينب"
- بدر راعى شوية لزينب بنت ممتازة و تكن لك مشاعر الود والمحبة ،ويعلمه بتقدم العديدون لها وهى ترفض ويفصح له أن غير قليلين يعلمون حبها له ولكنها تشعر بصدمة من مشاعره

وهنا استوقفه عن الإسترسال وأن كل ما سبق قد انتهى ،وأنه سيعيد ترتيب حياته ،وأكد له أنه سينسى ويبدأ من جديد.
- محتاج أتيقن من كلامك
- أتأكد انى قررت أعيد كل حساباتى
ثم أمره بتغيير ملابسه والذهاب للمكتب ريثما يقوم هو بمقابلة المعلم فاروق ويستمع ما رده ،وشد انتباهه أنه ربما تكون زينب فى المكتب هذا الوقت ،فهنأه مقدما مباركا له الزواج "
- نادية بنت أصول ووالدها من أجود الناس وأتمنى لكما حياة سعيدة
وهنا رد عليه بالربت على ساعده وتمنى منه الدعاء له فدعى له وغادر وقام من فوره فبدل ملابسه وذهب للمكتب ،وفوجئت به زينب يقف عند مكتبها مبتسما منشرحا فما لحظت نفسها إلا متأبطة حاضنة له ومقبلة وسرعان ما تراجعت ولملمت حالها
- اتفضل ..... وأجلسته على كرسي
- لحظة واحدة ،سوف أعد لك كوبا من الشاى ،أنا عارفة مقاديره فأمسك بكفها ووقف ليحادثها فوضعت أناملها على فمه وأكدت عليه نسيان مافات والبدء من تلكم اللحظة وأخذها بين كفيه ثم ذراعيه وكاد أن يقبلها حتى هبط عليهما سعيد فرحا وبصوت مجلجل طالبهما بالمباركة له
- باركوا لى إحنا ...وقبل أن يتم خرجت منه كلمة
- أوبا!!! أنا جيت فى اللحظة اللى مش هية ،فردت عليه
- أنت طول عمرك تأتى فى التوقيت الخاطىء لتفرق وما توفق فكان رده :
- برضوا أنا .....معلش مش وقته بنظرة عتاب بسيط لها
وبارك له بدر واستعلمت هى فأخبرها بأن المعلم فاروق وافق على خطبته لإبنته نادية وقرءا الفاتحة ،وحيته على أنه أخيرا سوف ينعم ويغرق فى اللحمة ،وضربته على كتفه وكأنهما أخوين شقيقين رغم ما ظن الآخرون غير ذلك وكانت قد صرحت

لـه سـابقا بعشـقها لبـدر وفعل هـو الكثيـر للتقريـب بينهمـا وحـاول إبعاده عن الآخريـات ،ثـم أطلقت زغـرودة مـن أجلـه ، وارتفعت زغاريـد الجيـران معهـا وتـداخلت الزغاريـد ورد بـأن تجعلهمـا اثنتـين واحـدة لـه والآخـرى مـن نصـيب شـخص آخـر فـى بالـه وأسعدتها الاشارة فأعادت لها نشوة الأمل فأطلقت واحدة طويلـة مجلجلة وأمتلا المكتب والشارع بالشربات والمهنئين .

وذات مساء نظرت إليه من شرفتها بعدما تركته عصرا ليذهب فى ميعاد له وهى ما أنفكت تنتظره من زمن وابتسم لها ورحل عن بابها وانتقلت هى إلى غرفة أخرى فصارت أمام ناظريه وكأنها تطلبه تتوسله فقد مرت أسابيع على خطوبة ابنة المعلم وسعيد واقترب فرحهما وتتمنى أن تلحقهما ،فأشار بيد وضعها أمام قلبه وكأنه يقول لها أن فى قلبه بعض الوجع القديم وتنهدت طويلا بعبوس وأشارات ألا يهمه وستتحمل وأن القلوب لا يملكها إلا خالقها ومر بعيدا وأخذ يصعد السلم ويتذكر كل ما حدث له ،وفجأة استبصر كأنها أمامه على السلم العلوى تنتظره وهز رأسه متعجبا أن يكون ألم به شىء أو أن عقله أصابته اللوثة ونظر تكرارا فما وجدها حتى وصل لشقته وفتح الباب وخطر له أنها خلفه فنظر فكأنها واقفة على السلم وانتظرت أن يحدثها بأية كلمات لتقتنع بسلامة ظنها وحسن خواطرها ولكن أحرق الخيال

- أتمنى أن يرزقك الله بابن الحلال الذى يسعدك ويرعاك

محاولا اقناعها بصعوبة أن يبدأ حياة جديدة دون أن ينسى أو يتناسى وابدت تفهما لما ألم به وارتضت فقط بأن تكون بجواره وهو يدير وجهه عنها وهى تدور من حوله لتلصق عينيها بناظريه حتى إذا ما أتعبته الحيل استاذنها وألقى إليها بتحية النوم وأظهر تعبا كاذبا ولكنها انفلتت من وقفتها وتماشت إلى غرفته وأوقفت الباب قبل أن يغلق وعاود الشرح للإبتعاد واستحالة أن تسير الحياة كما ترغب وكأن سرا عميقا يمنعه عن ذلك

- افهمينى أنا ليس سهلا أن أتناسى فيه أشياء يستحيل أن تختفى وتنتهى . واندخلت فى الغرفة وجاءه احساسا جديدا لم يعهده وهى كذلك إذ أنها أول مرة تخطو داخلها وهاهى الآن فى ظلمة القمر وكل تباعد منه تتقارب هى إليه حتى انفجر غاضبا بأن تجعل لعقلها فهما ،وأصابتها الغضبة فى قلبها فاغرورقت عيناها

وانطلقت فى انهيار فوق درج السلم فلام نفسه وتبعها مسرعا وناداها
- زينب
فاستوقفت نفسها فى وسط السلم وما التفتت وشهقات بكائها ترفع صدرها وتخفضه وخاطبها بصوت خافت مترجلا على الدرج
- أنا لم أقصد جرح مشاعرك أو الإستهانة بحبك ..
وعندما أحست بوقع خطواته فى بسطة قدمها استدارت وردت
- أنا لا يهمنى أى شىء ما دمت سأكون معك
وأمسك نفسه قبل أن يعاود كرة إغضابها فاستزادت من قربه وكلماتها تحنو وترفه حتى وضعت بسطتى كفيها على صدره وما أنزلهما أو ابعدهما واستنامت على صدره وتركها تغفو ويداه مشلولتان على كتفيها فلما استنشق أنفاسها حاول إبعادها فرفعت ناظريها وألقت بشفتيها فى شفتيه واستطعمتهما واستزادت فأخذ ثغرها بشفتيه وعودها بين ذراعيه واستسلمت واستراحت بينهما وأسعدها الحدث حتى إنها تكاد تختبىء بين أضلعه فلما نبأتهما غزارة حر الشفاه انفلتا وما زالت هى داخل ذراعيه ويغسل بكفه وجهها ويضع قبلة هنا وأخرى هناك ما بين الجبين والوجنتين وفى الشفاه ثم تباعد عنها رويدا رويدا فظهرت منه وألقى فوق جبينها قبلة تودعها وهى ما تبرح مكانها بل كلها يطلب العود من جديد وتجذبه لها فيرد
- أنا سامع خطوات أحد على السلم آتى
ولمحا ظلا على الدرج السفلى حتى غاب فى الدرج الأعلى منه وتركها على البسطة الوسطى ،وعندما اكتشفت أنه لا يوجد أحد إلا خيالات الإضاءة على السلم برقت عرجا إليه وقبيل الباب توقف لما سمع همس قدمها فاستدار وألفاها عنده فقزفت بذاتها إليه فاستقبلها بيديه وما أعطت حراك حتى ألضمها فى حنايا صدره وأخذها إلى داخل الغرفة وما إن بدأ يلمس جلدها وأجزاء جسدها الداخلية حتى وجد نفسه فجأة يسقط من على سريره

الصغير وإذ به قد غفى من شدة تعبه وتذكر تلك اللحظات فى المكتب وذهب إلى باحة السطح لعله يكون قد تم فما وجدها وعاد وأقفل باب غرفته عليه وجلس على السرير وأخذ سويعة يفكر فيها مليا ثم نهض مسرعا نحو الباب ووقف أمامه بعد أن فتحه وخاطب نفسه بأن الوقت ليل ورد على نفسه
- الوقت مازال بعد العشاء ولم ينتصف الليل
ونزل مهرولا حتى وقف ببابها ووجدها أوصدت كل شرفات البيت إلا فرجة صغيرة فى إحداها وطرق الباب قليلا فجاءه صوت أمها بالإنتظار وخاطبتها لتنظر من يطرق فجاوبتها أن تنظرهى لأنها متعبة وكانت مستلقية على أريكتها منهارة من كثرة النحيب ،فلما سمعت صوت أمها تقول :
-الباشمهندس بدر دقيقة أنزل أفتحلك ؟ فظنت نفسها تهزى أو تحلم وما صدقت فأنطلقت إلى فرجة الشباك لتنظر ومن قوة اندفاعها التفت قدماها فسقطت..ورأته هو فهرولت إلى السلم وتوقفت قدماها لمّا وجدت أمها سبقتها وقلبها ينخلع من مكانه وتساءلت ما جاء به الآن ..
- أيكون ؟ وعادت وجلست على الأرض من شدة ضربات قلبها مسندة ظهرها لباب غرفتها ،وفتحت الأم واستسمحها واستأذنها بأن يجلس معها قليلا فما رفضت وتمنت فى قلبها أمرا وطالبته بالدخول
- اتفضل يا بشمهندس
وأخرجت رأسها من الباب تنادى على شقيقها تدعوه إليها قليلا
- يا حاج حسنين ،حاج حسنين تعالى عاوزاك شوية ، ورجعت إليه ورد هو باستغرابه لأنه لم يجده بالدكان وهو مار أمامه "وجلست فى مقعدها الخاص "وطمأنته أنه ربما كان بالمخزن أو ذهب يأتى بشىء فاستشعر الحرج البالغ أن يكون أخيها شاهده دون أن يلحظه هو، خاصة وأن الدكان أمام البيت -وجاء مسرعا فقد سمعه وهويطرق الباب ولمحه من شباك المخزن قبيل أن تناديه أخته ورحب به ،وما إن جلس حتى

سارعه معتذرا بأنه نظر باحثا عنه فما وجده ورفع خالها عنه الحرج ،فهم بفتح الموضوع مباشرة يعرض رغبته فى الزواج من زينب وهنا سقطت على الأرض من شدة رنة الكلمات فى أذنها بعدما وقفت قليلا على دربزين السلم لتستمع لهم وأخذت تقبل الأرض سعادة وفرحا ،وكان الخال قد استقبل طلبه بكل ترحاب واستفسر منه عن أهله

- طيب أنت مين ومن من أهلك معك وإن قسم الله مشيئته بالقبول لازم أن يأتوا معك ،وأبدى بعضا من التردد والمماطلة لحين سؤال صاحبة الشأن والبحث عن أحواله وأهله وكأنه لا يعرفهما ،ولكن الأم العالمة بحال ابنتها ارجأته أسبوعا فإن لم ترسل قبله ردا بإنعدام القسمة والنصيب ،فعليه أن يأتى ببعض أهله يوم جمعة الأسبوع وتمنت الابنة لو استدعوها من فورها وسؤالها لأجابت بالموافقة وكانت قد أسرعت فى تبديل قميص النوم بزى مناسب على أمل مناداتها ولكنهما لم يفعلا ،واتفق معهما إن وافقوا أن يأتى بعمه وابنه زوج أخته المقيمين بقربهم ، وشرب واجب الضيافة الذى أعدته الأم واستأذن للإنصراف فاقدا الأمل أن يبعث إليها أحد ،وهى كذلك أصابها الإحباط والحسرة الغاضبة ،وبعدما أوصله للباب عاد أخيها ورجاها

- أرجوك اسألى إبنتك وتناقشا جيدا ولا تعنفيها أو تندميها على ما فاتها من خطّاب سابقين فهى وحيدتك التى تيتمت صغيرة ،وانطلق إلى دكانه وصعدت إليها الأم فوجدتها تنظر له من فرجة الشباك فدعت أن يكون هو من كانت تنتظره فألقت الفتاة نفسها بين أحضان أمها تراقصها فرحا وتأنبها على عدم استدعاءها وسؤالها ،فصبّرتها الأم وأسرت اليها بمخاوفها من علاقته السابقة وما رأته يوم حفل عقد قران سعيد على نادية وإتيان صديقتهم عبيرالتى جذبت أنظار الحاضرين ولكن ناظرها كان مع بدر الذى انسل من الحفل سريعا لكى يوصلها لسيارتها وما عاد للحفل فأردفتها الابنة

- أنا لا يهمنى ما سبق و ما مر أو فعله قبلا فالمهم لدي أنه أخيرا طلبها للزواج وهى التى ستكون زوجته وليس امرأة أخرى فأحتضنتها الأم وأمرتها بعدم الذهاب للمكتب طوال الأسبوع وتململت بتباعد الميعاد وودعتها الأم بابتسامة وقبلة وحضن ،ولما أغلقت الغرفة عليها تراقصت فرحا وسعادة وقبلت دولابها وكل ملابسها حتى مرآة تسريحتها ،واحتضنت قطة الجيران التى تأتى إليها دائما لتؤانسها ليلها فأخبرتها السر وهى الوحيدة العالمة به من كثرة سماعه منها ،وذهب هو إلى سعيد فوجده مشغولا بإعداد شقته ليوم الزفاف الذى سيكون بعد ثلاثة أسابيع فأعتذر له عن تغيبه بعض الأيام عن استكمال مساعدته فى ترتيبات الفرح

-لا لا يا صاحبى أنت أبو الواجب كله

فنفى عنه التقصير وأشار له بسرد ما لديه وبارزا على وجهه فلما أعلمه طار به صديقه فرحا .

وفى ظهيرة الجمعة بعد الصلاة ذهب بعمه وزوج أخته لخالها فى بيت أبيها وقرئت الفاتحة وارتفعت الزغاريد فى منتصف النهار فجاءتها المهنئات ومنهم زوجة سعيد التى رجت أمها أن تأخذها معها ليستكملوا بعض أشياء من شوار الفرح متمنية أن يأتى يوم فرحها سريعا لتساعدها كذلك فوافقت الأم على ألا تذهب معها لبيتهم لوجود خطيبها مقيما هناك فلا يتفهم الناس الأمر خطأ ،فأخبرتها نادية أنه جمع أشياءه وانتقل لشقته الجديدة وترك مكانه كإستراحة لسعيد عندما يزور نسيبه فى بيته فى قادم الأيام وكانا قد تجاورا فى سكن الزوجية الجديد فلما وجدت الأم الأمر كذلك رجتها أن يكون خروجها فى الغد حتى لا تترك المهنئين بمفردهم.

تذكرا كل ذلك وهما جالسين فى داخل قاعة الإحتفالات بالجامعة الحديثة بالعاصمة ينتظرا تكريم ابنيهما الأكبر الحاصل على المركز الثانى على مستوى الجامعة بعدما كرم منذ أيام كالأول على كليته ،حتى فأجاهما الأمر ،وحدث مالم يكن فى الحسبان وبدل فرحهما عجبا منه وغضبا وألما منها ،عندما جاء تكريم الأول على الجامعة فاذ بها ابنة منافسه فى الجامعة ولكن لم تكن تلك هى المفاجأة ،ولكنها كانت فى أن الفتاة تشبه ابنهما تماما ولاحظ ذلك المكرمون لما صعد للمنصة وظنوا أنهما قريبين وسألتها احدى نواب رئيس الجامعة عن ذلك

- انتوا قرايب ولا إيه

فبدى على الطبيبة الشابة العجب والحيرة تصعقها وفى أحد أركان القاعة وقف غاضب اخر هو والدها الذى نظرت إليه كثيرا فما لمحت بينها وبينه أية شبه ،أما أمها فما بدا عليها شىء سوى الهدوء التام والإبتسامة العميقة وكانت الصاعقة الكبرى فى تكريم الرابع فإذ به شبيها لهما وقفز بدر من مقعده وتعجب كل الحضور وأسرعت زوجته هاربة من المكان تتفجر غضبا وبكاء وظل هو بجانب ابنه وأخويه الولد والبنت التوأم (وكانوا متعجبين من سلوك أمهم)

- هى ماما مالها

فهدأ خاطرهم الأب وأفهمهم بأن لديها أمرا مهما وستعود من فورها وكان التوأمين يشبهانها جدا أكثر منه إلا قليلا من بنيان جسده وانتهى حفل التكريم وما عادت ووجدوها بالسيارة بإنتظارهم ،وكانت السيارة غارقة فى بحر من الدموع وبقى الجميع صامتا وقادت السيارة والأبناء يقلبون ناظريهم فى بعضهم وبين أبويهم حتى وصلوا البيت ،وتماسكت الأم وأبدت متصنعة الفرح والسرور بابنها وأنها تعبت قليلا فى الحفل وأصابها الدوار والصداع وارتاحت بعد تناول قرص دواءها وحثت الآخرين على اتباع نهجه فى التفوق وأخرجت ما أعدته

من مأكولات وحلويات احتفالا بهذه المناسبة وجاءهم من دعتهم سابقا احتفاءا بابنها ، وقضوا ليلة ممتعة وهنيئة ،حتى ذهب المدعوون و صار كل واحد إلى غرفته ونام الأبناء وظلت هى بطرف السرير وهو على كرسى يتفحصها وكلما حاول التكلم انعقد لسانه وقامت وألقت نظرة أخيرة على أولادهم ثم عادت وأغلقت حجرتها جيدا ،ثم بدأت هجومها الشديد معنفة إياه طالبة تفسيرا محددا ،بلا مأثورات شعبية أو حجج علمية كما تعود وهى تشير بأصابعها إليه وقد قربت من رقبته وكأنها تهم بخنقه فما استطاعت

- أنا عاوزاك تفسر لى الأمر ومش عاوزاك تقلى يخلق من الشبه أربعين وحذرته من قول أى حجج واهية أو خيالات

- فنفى عزمه أن يقول ذلك وأخبرها أنه قابل فى الجامعة نور فقاطعته :

- نور طبعا نور... كمل آه ... كمل (وحاول التكملة وهى تنتظر) فردت مؤكدة أن نور أمها مستفسرة عن أبيها الحقيقى ،فرد مسرعا مذكرا إياها بما حدث يوم افتتاح مكتبيهما ،فكسرت كوبا أمامها وتماسكت ،مخاطبة مشككة أن تكون البنت من هذا اللقاء وأنهما لابد قد تلاقيا كثيرا ،فأكد لها

- لقد كانت لقاءات قليلة قبل أن تزف لإبن خالتها ،،وقبل أن أفكر أنا فى زواجك وذكرها أنها وعدته بنسيان كل شىء ومسامحته لما أخبرها بالحقيقة قبيل اتمام زواجهما ،وهدأت قليلا وجاوبته أنها بالفعل سامحته ونسيت

- بس أنا قلبى هينفطر ويتقطع من ذاك الولد الثالث فانه يشبهك أكثر من ابننا وابنة الاخرى فكيف وممن ومتى ؟ وأخذت تسرد له أيامهما منذ قطع علاقته بنور وأنه ما غاب كثيرا عن ناظريها وهى متأكدة أنه لم يلتقيها مجددا منذ ذلك الوقت فكيف يكون ذلك وهنا ألقى بنفسه على الكرسى مجددا كأنما يتحاشى غضبها أو أن يرد عليها ،وسكت كثيرا وظلت هى تروح وتجىء فى الغرفة وتسأل وتستفسر نافية أن يكون الأمر صدفة وتنتظر منه ردا فلا

يجيبها ،فلما ازداد غضبها من سكوته أمسكها من يديها وحاول إجلاسها وتهدأتها لإخبارها ما عرفه فأبعدت يده عنها وجلست بعيدا فى آخر زاوية مظلمة بالغرفة فأعادها ليوم عقد قران سعيد ونادية

- فتأوهت: نادية التى كانوا يريدون تزويجها لك وأخذت تهز الكرسى بشدة فتوقف عن الكلام

- كمل كلامك

- وذكرها بحاله وقتها وهو ما زال خارجا من السجن وأنه جلس بالفرح قليلا ثم غادره ،وردت عليه أنها كانت تتابعه وتألمت كثيرا لحاله وقتها (وارتاح قليلا لإنخفاض نبرة صوتها) وأكمل أنه بعدما صعد لشقته (ثم سكت طويلا وتنقل بين الشباك وطرف السرير والكرسى ونظر اليها فوجدها قابعة ساكنة)فوجئت بعبير تلحق بى وأخبرتنى أنها كانت بالفرح تهنىء سعيد الذى دعى أغلب الدفعة لقرانه ثم تسللت إلى السطح بعدما تركت الحفل (وهنا قفزت واقفة من على الكرسى) مرددة اسم عبيركثيرا

-عبير عبير لا لا مش ممكن عبير عبير !

وامسكت رأسها بكلتا يديها غير مصدقة ما تسمع ،فأكمل أنها جاءته برسالة من نور تخبره بحقيقة موقفها واعتذارها عن فعل أبيها وزوجها ...ثم حاول إنهاء الخبر وسكت ...فقربت منه على طرف السرير طالبة أن يسرد عليها تفاصيل تلك الليلة كاملة فحاول التهرب متعلالا بمرور السنين ولكنها أصرت فأخذ يتذكر

- أنه حاول توصيلها إلى الشارع الذى ركنت به سيارتها ولكنها أفهمته أنها لا تستطيع الخروج لحظتها بعدما جلسوا فى الفرح أمام العمارة وسد الشارع وظلت معه على السطح حتى اضطر إلى فتح حجرته فدخلت من فورها وخلعت جاكيت جلدى كانت تلبسه لتظهر ببلوزة بلا أكمام وطلبت منه قليلا من الماء وجاءها به وأخذت تتفحص شقته وأعجبت برقيها رغم بساطتها وصغرها ثم عرض عليها مشروب ساخنا فوافقت وراح يعده لها

فقامت هى لتصنعه وأمسكت يده جاذبة كوب الإعداد متعمدة لصق نهديها به وأحس بدفأ صدرها فى أعلى كتفه فاستدار ليبتعد وأخذ يصنع لها المشروب وفاجأته بضمها إليه من خلفه وسردت له أنها تتابعه مع نور دائما حتى رأتهما ذات مرة بالمكتب وهما مستمتعان ببعضهما ،وتمنت لنفسها لحظة معه وهاهى قد جاءت ،وكان هو كالطير الذبيح فمن أحبها ذهبت لغيره ،ومن أحبته نفرت منه،وكانت هى ذات جمال وشذا جسدها الفواح أغرق الغرفة فيه وكأنها تجهزت خصيصة لتلك الليلة ،فألتقما بعضيهما وحدث ما لابد أن يحدث فى مواقف كتلك وخلال سويعة وجدا نفسيهما قد أيقظتهما دقات الدفوف والطبول إيذانا بإنتهاء حفل الزفاف ،وقامت من فورها وكما أتت خرجت وسط جمع النسوة وعادت من حيث جاءت ، وكان هذا أول وآخر لقاء لهما وفرقت بينهما الأيام حتى التقاها ثانية مع نور فى حفل الجامعة .

- وهنا أخذته ضربا بكفوفها الرقيقة ناكرة له خياناته كل هذا الوقت ،فأقسم أنه لم يحدث منذ ارتبط بها وأنها كانت ساعة واحدة مع عبير وبضعة أيام مع نور ،،فاستقبحت أفعاله واستنكرت أن تصدقه فى أنه لم يلتقيهما بعد ذلك أو تكون هناك أخريات ،فكرر عليها أعظم الأيمان أنه ما عرف امرأة أخرى ولم يتلقيهما من يوم خطوبته بها وارتمت تبكى فوق السرير وهى تردد

- أنت كذاب وخائن ، كذاب وخائن

فتركها وخرج يجلس فى بلكونة الحجرة وظل هناك حتى الفجر،وأشعل عدة سجائر من علبة قديمة احتفظ بها منذ آخر مرة دخن فيها قبل أشهر بعيدة وهى ما زالت تبكى وتردد

- كاذب وخاين وترفع رأسها لتنظره كل ساعة وتعاود بكاءها ،وكلما وجدته ساكنا لا يتكلم يزداد بكاءها ونحيبها فلعله يتذكرهما ،حتى رق لها أخيرا وذهب إليها ورفعها من خصرها وأخذها بين ذراعيه وهى تضربه بجناحى انثى على كتفيه ولم

يمنعها حتى هدأت بين ذراعيه واستكانت ثم أخذ يرفع نظريها إليه ويكفكف لها دمعها فتشهق باكية كل مرة وتعاود النحيب على كتفه حتى أخذ يقبل يديها ورأسها راجيا أن تسامحه ،ثم رفع وجهها له مرة أخيرة ومسح دمعها عن خديها بشفتيه وأخذ يقبل شعر رأسها ويديها ووجنتيها فرقت وارتخت فسقاها بشفتيه قبلا كثيرة ،ثم ردت إليه قبله بأكثر منها وعاودتها لحظات أول ليلة معه فأخذها الى السرير وصالحها وقضيا ليلة كليلة دخلتهما ،ثم ايقظتهما طرقات ابنتها على الباب تخبرها بقرب آذان الظهر

- ماما احنا بقينا الظهر أنتم نسيتم ميعاد السفر ولا إيه ،خلاص إحنا هنسافر وانهم مغادرون فردت عليها بالموافقة

- مع السلامة وساخبر والدكم عندما يستيقذ طالبة مسامحتهما وقضاء وقتا لطيفا مع بعضهم البعض وأصدقاءهم، فنظرت إليه بجوارها مليا ومررت يديها على ظهره ورأسه ثم قبلته وألتف لها وضمته وعادت على صدره وبعث فى جسدها حبا مرة أخرى،وقاما قبيل المغرب فخرجا ووجدا على منضدة الطعام بالصالون ورقة مكتوب عليه :

-"سافرنا "

وتذكرا ما وعدا به أبناءهم بتركهم يأخذون اليومين التاليين للحفل فسحة مع أصدقاءهم فى اجازة بإحدى القرى السياحية وجهزت له إفطارا كإفطار العرس.

وظلت خطيئته تطارده، يعاينها أحيانا وتأتى إليه أخبارها وترتفع خلفاتهما مجددا خاصة بعدما علما بإنفصال نور من زوجها ،وخشيت زينب من الأمر فطالبته بالإبتعاد فوجدا مكانا فقرروا ترك البلدة والإنتقال إلى المكان الجديد وكان قد اشترى فيلا بالمدينة الساحلية بالبحر الاحمر خاصة وأن التوأم كلاهما إلتحقا بالجامعة المستحدثة هناك ،والأكبر انضم من فوره إليها كمعيد بها ،وحاولا تناسيا الأمر ولكن الآخرين من عائلتين مشهورتين تتردد أخبارهما فى الاعلام والصحف ،فظلت خطاياه تطارده فقررا اعتياد الامر وكأنهما من صدف الشبه فى خلق البشر ،

حتى فوجئت يوما بحضور نور وابنتها إليها راغبة فى إلتقاءها بأخوتها فقد عرفتها بقصتها مع بدر وهنا انفجرت فيها زينب طالبة منها المغادرة ثم عاد زوجها واهتمت به فوق عادة اهتمامها حتى إذا جلس بشرفة المنزل ليرتشف قهوته وجدها صامتة تنظر إليه شاردة فمد إليها يده وأخذها فى حنايا صدره يخفف عنها ألما يشعر به فإذا بها تضمه ضمة شديدة لها فوضع وجهها بين ناظريه فأغمضت عينيها وراحت تقبله من بين عينيه حتى شفتيه مارة برأسه ثم نزلت على قدميها وجلست على الأرض وكفتيه بين يديها قابضة عليهما تقبلهما ثم أرخت رأسها بهما على ركبتيه ،وأخذ بيده اليمنى يتلمس شعرها مفردا خصلاته بين أصابعه فإذا بهدوء المنكسرة تخبره الخبر

- من ساعة جاءت نور بابنتها وكانت تريد لقاءك بها ولكنى "وترفع رأسها بنظرة وابتلاع لريقها "ولكنى طردتها فلم يجب وسكتا واستنامت على قدميه ثم أخذ شهقة كبيرة بزفرة أكبر جعلتها ترتعش وينتفض جسدها وكادت أن تبكى وأجابها

- أنت عارفة من بعد حفلة التخرج أخذت أفكر فى احتمالات تلاقيها بابننا الأكبر فلما عرضتى علىّ ترك المدينة بعيدا نفذت رجاءك بلا تردد وقتها سألنى

- لماذا نغادر .فكان لزاما على أن أخبره حتى اقطع ظنونه وشكوكه التى تولدت من تهامس الجميع

- أنت قولتلهم ،وسايبنى وسطهم كالبلهاء

- لا أخبرت ابننا الأكبر فقط فدعانى للإستغفار ولكنه رمانى بتهمة الخطيئة التى لا تغتفر فهى باقية وحية وتمشى على الأرض ،وربما أثمرت خطايا جديدة ،فماذا لو التقاها قبلا أو بعدا وصار بينهما عشق أو بينها وبين أخيها الآخر وهنا ألتهب احساسها واستفاقت واضعة يديها على فمها ثم خديها وأردف بمفاجئة ألجمتها :

- أنا اللى بعتهالك فقد آتيتا إلى وألتقت بأخيها ولكنه رفض إقرار الأمر ،وأخبرتنى أن زوج عبير أراد يوما خطبة ابنتها لابنه

فرفضت الأمين ثم تناسيا الأبوين الأمر بعدما التقيا وكشف لنفسيهما السر وطلقا زوجتيهما فوقفت على رجليها ووقف أسرع منها وقبل أن تنفعل أو تنبس بأية كلمة ضمها سريعا إليه وحاورها

- لقد فعلنا كل شيء للنسيان وابتعدنا ولكنها الخطيئة الباقية وقبضت كتفيه بيديها ورفعت رأسها إليه وكادت تعاودها ثوراتها السابقة ولكنها تراخت وألقت نفسها بين حنايا قلبه

-هو ممكن يكون عندك ؟ فأسكتها بتميمة نفى من فمه

-أبدا مش ممكن يكون . لكن القدر يعيد على خطيئتى ولا يريد أن ينسى أو يغفر فماذا نفعل أكثر مما فعلنا

-أقسملى أن عمرك ما تفارقنى أو تسمح لأية امرأة بمشاركتى فيك ؟ واستعجب فهذه أول مرة تطالبه بالقسم

- أقسملك أننى لن أعود لذكرى ماضية ،ولن اسمح لأى شيء بأن يأخذنى منك ولو خطيئة بمثل أضعافها فأخذت تقبله كما لم تقبله سابقا ،حتى دخل عليهما ابناءهما

- الله الله انتم فاكرين نفسكم لسة مراهقين (هكذا خاطبهم ابنهم الأصغر) بينما توأمته ألقت بنفسها بينهما تتمنى قصة حب كمثلهما ،ووقف الأكبر بالباب ينظر إليهما فهو يعرف سر الخطيئة فانضم لأخوته بين أحضانهما لما دعته أمه

ثم أبلغهم والدهم بقرارهما اعتزال العمل وترك الشركة لهم لإدارتها وأنهما سيستمتعان ببقية حياتهما معا ،وقد سرت فى ثلاثتهم أمنية أن تنتهى ذكرى تلك الخطيئة ،ولكن كيف ؟ ومتى ؟ وما الذى تخبئه الايام ؟

****

تمت